**السلطان عبد الحميد وثورة تركيا الفتاة**

كان السلطان عبد الحميد إحدى الشخصيات التي أثارت جدلا بين المؤرخين. فمنهم من أطلق عليه الدكتاتور, السفاح, السلطان الأحمر لكثرة ما سفك من الدماء. بينما يرى فيه القسم الآخر انه مصلح عادل حكم إمبراطورية واسعة بكل حنكة ودهاء ومد في عمر الخلافة العثمانية ووقف ضد الأطماع الاستعمارية الغربية التي سعت إلى تقسيم أراضي "الرجل المريض".

**ظروف توليه الحكم**

تولى السلطان عبد الحميد الثاني العرش في إحدى الفترات العصيبة التي شهدتها الدولة العثمانية. فالخزينة خاوية بسبب الديون المتراكمة والتي بلغت 200 مليون جنيه إسترليني, وكانت محاولة تمرد فاشلة دبرها علي سعاوي ضد السلطان بهدف إرجاع السلطان مراد إلى العرش. بالإضافة إلى الوضع الداخلي الصعب, عانت الدولة العثمانية من مشاكل صعبة في المجال الخارجي بسبب الثورات التي نشبت في الولايات البلقانية عام 1876 التي أدت إلى اندلاع **الحرب الروسية – العثمانية عام 1877**.

**السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1908)**

ولد السلطان عبد الحميد في 22 أيلول عام 1842 في استانبول. وصل إلى الحكم أثر انقلاب وبالوراثة. فقد ظهرت حركة جديدة في الدولة العثمانية وهي حركة "**العثمانيون الجدد**" وهم الشباب الأتراك المتأثرون بالحضارة الأوروبية وبالدساتير الغربية, هؤلاء العثمانيون الجدد قاموا بعزل **السلطان مراد الخامس** الذي اتهم بالجنون وحكم مدة ثلاثة أشهر فقط.

كان هذا الانقلاب مدبرا من العثمانيين الجدد والسلطان عبد الحميد الثاني الذي اتهم أخاه السلطان مراد الخامس بالجنون وبعدم القدرة على ممارسة الحكم. وقد لاقى الدعم من العثمانيين الجدد الذين اشترطوا على عبد الحميد القيام بالإصلاح في الدولة العثمانية, وكان **مدحت باشا** أهم شخصية عثمانية, تلقى تعليمه في الغرب وأراد الإصلاحات في الدولة العثمانية وتزعم حركة العثمانيين الجدد.

لقد اظهر السلطان عبد الحميد في بداية حكمه رغبته في الإصلاح وقبول **دستور مدحت باشا لعام 1876**, ولكن سرعان ما أعلن عن إلغاء الدستور, لاحق المصلحين وفرض نظام حكم فردي مطلق وظل يحكم بصورة فردية ولاحق العثمانيين الجدد حتى ظهور الأتراك الصغار والذين قاموا **بثورة "تركيا الفتاة**" عام 1908 التي أجبرت السلطان عبد الحميد على إعادة العمل بالدستور.

وفي عام 1909 حاول تعطيل الدستور مرة أخرى وفي هذه المرة لم ينجح فخلع عن الحكم بعد هذه الثورة المدعومة من فبل العناصر العسكرية القومية التركية وعين أخوه **محمد رشاد** وقد وضع السلطان عبد الحميد تحت الإقامة الجبرية في قصره المشهور يلدز حتى عام 1918 سنة وفاته.

**دستور 1876 من إعداد مدحت باشا**

هذا الدستور الذي أعده مدحت باشا والذي أجرى عليه السلطان عبد الحميد بعض التعديلات منح السلطان صلاحيات وحقوق واسعة. إذ كان السلطان بموجبه يعين الوزراء ويعزلهم ويعلن الحرب ويعقد الصلح ويعطل البرلمان. ولكن مع هذا الدستور جعل الدولة العثمانية دستورية وبرلمانية, وكان هذا الدستور مستمدا من الدساتير الأوروبية وخاصة الدستور البلجيكي, ولقد لاقى معارضة من قبل رجال الدين المسلمين, أما التأييد فقد جاء من الطبقة المثقفة والتي تأثرت بالحضارة الغربية ومنهم **العثمانيون الجدد**.

1. الإسلام دين الدولة واللغة التركية هي اللغة الرسمية.
2. تشكلت سلطة تشريعية وبرلمان مكون من مجلسين : مجلس المبعوثان ومجلس الأعيان. وينتخب مجلس المبعوثان من الشعب, أما مجلس الأعيان فينتخب من قبل السلطان عبد الحميد, ومعظم هؤلاء الأعيان من الطبقة البرجوازية والشيوخ وذوي الحسب والنسب.
3. انطلقت حرية الصحافة وحرية التعبير عن الرأي ومساواة الجميع أمام القانون.
4. تشكيل سلطة قضائية. ولا يتم عزل القضاة إلا لسبب شرعي.
5. إلغاء امتيازات العاصمة اسطنبول, فأصبح سكانها يدفعون ضريبة الدخل ويخدمون في الجيش كغيرهم من الرعايا.

لقد قبل السلطان عبد الحميد بهذا الدستور مؤقتا لأنه كان يريد الوصول إلى الحكم وإرضاء الدول الأوروبية لأنه كان بحاجة إلى مساعدتهن ضد روسيا العدو اللدود للدولة العثمانية. وبعد انتهاء الحرب الروسية العثمانية قام بتعطيل دستور مدحت باشا ولاحق المصلحين.

**تبريرات السلطان عبد الحميد لتعطيل دستور مدحت باشا**

1. عدم كون البلاد متطورة بشكل كاف لتقبل الحكم الدستوري.
2. عدم إمكانية تطبيق المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الرعايا.
3. عدم وجود لغة واحدة لجميع الرعايا, وعدم قبول القوميات المتعددة هجر لغتها وتقبل اللغة التركية لغة رسمية.
4. عدم إمكانية تطبيق نظام قضائي واحد نظرا لتعدد الطوائف غير المسلمة, التي لا يمكن أن تستغني عن استقلالها القضائي.

**عبد الحميد والحكم الأوتوقراطي**

بسبب الظروف التي مرت فيها الدولة العثمانية في تلك الفترة, رأى السلطان عبد الحميد أن لا مكان للنظام الديمقراطي, لذلك قرر بناء سلطته المركزية, والتمسك بالنظام الأوتوقراطي (حكم فردي), فربط جميع مؤسسات الإمبراطورية بشخصه وقام بالإشراف عليها بشكل مباشر. ومن أهم الأعمال التي قام بها في هذا المجال:

1. قام بتعطيل دستور مدحت باشا ونقل جميع سلطات الحكم من الباب العالي إلى قصره المشهور ب (يلدز) الذي بناه على ضفاف البوسفور, فمن هذا القصر اشرف على الإدارة الحكومية مباشرة.
2. أقام حكم جاسوسي واعتبر مؤسس الدولة البوليسية في القرن العشرين. فقد أمضى عبد الحميد وقته في قراءة جورنالات أو التقارير التي كانت تصله من جواسيسه. حتى إن احد الأوروبيين الذي عاد من اسطنبول إلى أوروبا كتب في مذكراته (رأيت نصف المدينة يتجسس على النصف الثاني), وقالوا أيضا (إن كل ثلاثة كانوا يجلسون في المقهى كان احدهم جاسوسا).
3. فرض السلطان عبد الحميد رقابة شديدة على المطبوعات والصحف والكتب, وحظر نشر كتابات كتاب ثوريين عثمانيين مثل نامق كامل وأوروبيين مثل روسو, فولتير, هيجو وغيرهم.
4. عاقب كل من خالف القوانين التي وضعها حيث قام بارتكاب المذابح أشهرها مذبحة الأرمن (المسيحيون) 1897 – 1903 في إقليم أرمينيا حيث قتل الآلاف منهم, ثم قام بترحيل قسم كبير منهم.
5. حكم بصورة اوتوقراطية (حكم فردي) مركزية وألغى الحريات العامة مثل الحرية السياسية, الاقتصادية وحرية التعبير عن الرأي إذ منع استخدام مفردات مثل : "حرية, مساواة, إخاء, إضراب, دستور, ثورة, اشتراكية" وغيرها, وألغى جميع السلطات (التشريعية, التنفيذية والقضائية).

**النظام الأوتوقراطي \_** هو النظام الذي يركز فيه الحاكم جميع الصلاحيات والسلطات بيده ويحكم حكما استبداديا مستغلا الدولة والشعب لمصلحته الخاصة ويعتبر الحاكم في هذا النظام السيد المطلق في الدولة ولا يمكن لأحد مراقبة أعماله والاعتراض عليها.

**عبد الحميد والإصلاحات**

في الحقيقة لقد تميز عهد السلطان عبد الحميد بالإصلاح أيضا, أما المجالات التي تناولتها الإصلاحات في عهده فكانت:

**الثقافة**

1. نظم شبكة التعليم في مراحلها الثلاثة: الابتدائية والثانوية والعليا. فأقام السلطان لا يقل عن 18 مدرسة وعهدا عاليا مثل: مدرسة للمالية, القانون, الفنون, التجارة, الهندسة الطب.... واختصاصات أخرى (البيطرية, الشرطة, الجمارك).
2. وسع شبكة المدارس العسكرية فافتتحت مدارس كهذه في مدن بغداد دمشق, بغداد وادرنة وغيرها.
3. أقام أول جامعة إسلامية في اسطنبول عام 1900 التي شملت أربع كليات (كلية العلوم الدينية, كلية العلوم الرياضية, كلية العلوم الأدبية والطبيعية).
4. أقام مؤسسات ثقافية مثل متحف الآثار العسكري ومكاتب (مكتبة بايزيد) وغيرها.

**الإدارة**

حاول السلطان عبد الحميد الثاني أن يحقق المركزية القديمة في الإدارة كرد فعل على تدخل الدول الكبرى حيث أعاد تنظيم إدارة الدولة لتحقيق سيطرة اكبر. فمن أهم أعماله الإدارية:

1. أعاد تنظيم الإدارة في سوريا من جديد حيث جعل القسم الجنوبي من فلسطين سنجقا ومركزه القدس ويرتبط بالأستانة مباشرة.
2. سنة 1888 انشأ ولاية جديدة تضم المناطق الساحلية للشام من طرابلس إلى عكا وجعل مركزها بيروت.
3. سنة 1890 قسمت سوريا إلى ثلاث ولايات حلب, بيروت ودمشق ومتصرفيات لبنان القدس ودير الزور.
4. رفع من مستوى الموظفين عن طريق المدارس التي أقامها لتدريبهم, وعين ولاة جدد في كثير من الولايات العثمانية.

**الجيش**

1. استعان السلطان عبد الحميد بالخبراء الألمان في تدريب وتنظيم الجيش.
2. أعاد تنظيم القيادة العليا (الأركان الحربية).
3. بذلت الجهود لتوسيع نطاق الخدمة العسكرية الإلزامية لكل الذكور المسلمين من سن العشرين فما فوق.
4. ألغيت امتيازات العاصمة \_ بما يختص بالتجنيد والبدل العسكري, مع إن الإعفاء من الخدمة العسكرية عن طريق دفع المال استمر.
5. في سنة 1891 أنشأت فرقة من الفرسان الحميدية تألفت من القبائل الكردية والتركمانية من شرقي الأردن.

**القضاء والقانون**

1. صدرت أربع قوانين في عام 1879, تناول اثنان منها تنظيم المحاكم وآخران للخطوات القضائية.
2. أنشأ مكتب حقوق يشرف على إعداد موظفين خبيرين في الشؤون القضائية للعمل في المحاكم القضائية وغيرها.

**المواصلات والاتصالات**

1. اهتم السلطان بإقامة السكك الحديدية بالاستعانة بالخبراء الألمان, فأقيمت سكة حديد الحجاز التي أنشئت بأموال المسلمين.
2. زاد من عدد الطرق المعبدة.
3. طور البريد والتلغراف وانشأ لذلك وزارة خاصة للعناية بالشؤون البريدية والتلغرافية.

**الزراعة**

1. اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بتطوير الزراعة حيث انشأ مزارع نموذجية في مدن مختلفة ولا سيما دمشق وحلب في الولايات العربية.
2. أسست دائرة منفردة للشؤون الزراعية.
3. أسس بنكا زراعيا يقوم بتمويل المشاريع الزراعية في الدولة.

**المطبوعات والصحف**

1. زاد عدد المطابع حيث وصل عددها إلى 99 مطبعة من 54 في السابق.
2. بلغ عدد ما طبع من كتب في عهده حوالي 4000 كتاب.
3. ألف في عهده أول كتاب بالتركية الذي تناول تاريخ أوروبا.
4. صدرت جريدة (ترجمان حقيقت) و (صباح) وجريدة (اقدام) وغيرها.

**المالية**

1. نجح السلطان عبد الحميد في تقليص نسبة الديون على الدولة وذلك بالاتفاق مع الدول الكبرى.
2. تحسنت عملية جباية الضرائب في زمن عبد الحميد.

**عبد الحميد وسياسة الجامعة الإسلامية**

**فكرة الجامعة الإسلامية** \_ ترتبط فكرة الجامعة الإسلامية بجمال الدين الأفغاني, الذي كان أول الداعين لها, وبالإمام محمد عبده أشهر تلاميذه. اعتمدت الجامعة الإسلامية على المبادئ التالية:

1. الوحدة الإسلامية التي تتخذ القرآن دستورا لها.
2. حسم الخلاف بين الأمم الإسلامية والحكومات الإسلامية وقطع الطرق على جميع المحاولات الاستعمارية لإيقاع الفتنة بين المسلمين واحتلال بلادهم .
3. إصلاح أحوال المسلمين دينيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.
4. إثارة الوعي والحماس بين المسلمين وتوحيدهم لتحرير الشرق من السيطرة الغربية.
5. الدفاع عن الإسلام والحضارة الإسلامية ومقاومة الغزو الأجنبي.

**الخطوات التي قام بها عبد الحميد لدعم فكرة الجامعة الإسلامية**

في محاولة لدعم سلطته والخلافة العثمانية, وربما دعم الدولة في وجه الغرب اخذ السلطان يتقرب من المسلمين, وكان ذلك على الشكل التالي:

1. اخذ يلقب نفسه بلقب الخليفة أو أمير المؤمنين أو خادم الحرمين الشريفين. وبذلك أراد جعل الدولة العثمانية دولة دينية رافضا العلمانية معتمدا على الشريعة الإسلامية والقوانين السماوية رافضا القوانين الوضعية.
2. أحاط نفسه بالفقهاء ورجال الدين والعلم مثل **أبو الهدى الصيادي والشيخ ظافر** وكذلك دعا **جمال الدين الأفغاني** إلى الأستانة. الذي اشتهر بكتبه ودعوته إلى الوحدة الإسلامية والجامعة الإسلامية والربط بين العلم والإيمان ويعتبر من رجال الدين المصلحين الذي رفض البدع والخرافات وامن بالتقدم والأخذ بأساليب الحضارة الغربية التي لا تتناقض مع الشريعة الإسلامية وبهذه الطريقة يمكن مواجهة الاستعمار واسترداد كرامة المسلمين ومن المجلات المشهورة التي كتب بها مجلة "العروة الوثقى".
3. انشأ سكة حديد الحجاز بتبرعات إسلامية ليثبت لهم مدى اهتمامه بالأمور الدينية, لاستمالة المسلمين وكسب ولائهم. وقد استعان بخبراء ألمان, فوصلت دمشق بالمدينة المنورة وكان طول هذه السكة 900 ميل, وبذلك تم تسهيل وصول الحجاج إلى الديار المقدسة في الحجاز من جهة وتامين المواصلات العسكرية, وبالتالي تثبيت دعائم السلطة العثمانية في الديار المقدسة من الناحية الأخرى.
4. انشأ المعاهد الدينية وأرسل بعثات إسلامية إلى الخارج وخاصة الأزهر الشريف في القاهرة, وأصلح مساجد مكة والمدينة.

وهكذا عمل السلطان عبد الحميد على الاستفادة من دعوة "الجامعة الإسلامية" واستغل شعور المسلمين بالحاجة إلى التوحد والتكتل والتضامن بصفته خليفة المسلمين, ليحقق هدفين هما: تثبيت حكمه المطلق في الداخل من جهة وفي تهديد الدول الأوروبية بقوة الجهاد المقدس من جهة أخرى.

**ثورة تركيا الفتاة عام 1908-1909**

**تركيا الفتاة**: هي عبارة عن منظمات سرية تشكلت بين أوساط المثقفين العثمانيين وانتشرت في غالبية المدن التركية, وسميت بهذا الاسم نسبة إلى حركة "**ايطاليا الفتاة**". وبدأ نشاطها السياسي عام 1889, وكان نواتها طلاب المدارس الحربية وضباط الجيش ثم انضم إليهم عناصر مختلفة من عرب وأتراك والبانيين وأكراد وغيرهم. كان هدف هذه الحركة إجبار السلطان عبد الحميد العمل وفق الدستور.

برز من بين أعضائها جمعية أطلق عليها اسم "**الاتحاد والترقي**", والذين نادوا بالمركزية الشديدة وبتتريك (عثمنة) الأقليات في الإمبراطورية \_ وهي فرض العادات والتقاليد واللغة التركية على جميع الأجناس التي تسكن في أنحاء الدولة العثمانية. وجمعية عرفت فيما بعد بحزب الحرية والائتلاف والذين نادوا باللامركزية. لم يضم تنظيم حزب تركيا الفتاة سياسيين فقط, بل ضم أيضا فنانين ورجال إدارة وعلماء وغيرهم.

**جمعية الاتحاد والترقي:** هي إحدى الجمعيات المكونة لحركة تركيا الفتاة, تأسست في المدرسة العسكرية الطبية عام 1889, وانتشرت في مختلف المعاهد العليا ونادوا بالمركزية الشديدة وتتريك الأقليات الغير تركية. في عام 1897 اكتشف جواسيس السلطان أمر قيام الجمعية فنفى أعضائها البارزون إلى أنحاء الإمبراطورية, غير إن معظمهم هربوا من المنفى, واستقر بهم المطاف في عواصم الدول الأوروبية. وفي سنة 1906 نقل مقرهم إلى داخل الإمبراطورية, فاتخذوا سالونيك في اليونان مقرا لهم. وانضم إلى هذه الجمعية ضباط الجيش الثالث العثماني وعلى رأسهم **أنور باشا** وأعلنوا الثورة ضد عبد الحميد عام 1908 وفي عام 1912 نجحوا بإسقاط حكومة الحرية والائتلاف وحكموا الإمبراطورية حكما مطلقا واتبعوا سياسة التتريك, ولا ننسى أن هذه الحكومة هي التي قادت الدولة في الحرب العالمية الأولى عام 1914, إلى جانب دول المركز (ألمانيا والنمسا).

**الأسباب التي جعلت جمعية الإتحاد والترقي اتخاذ سالونيك مقرا لها** :

1. كانت سالونيك أكثر مناطق الدولة تقدما فكانت ذات طابع عالمي أكثر من أية بلدة من بلدان الدولة.
2. كان يسكنها الكثير من اليهود الذين هاجروا إليها من اسبانيا.
3. كانت سالونيك أكثر اتصالا بالعالم الأوروبي.
4. كانت سالونيك تزخر بالقوميات البلقانية.
5. كانت سالونيك أرقى في مستواها الثقافي والتعليمي من بقية الولايات العثمانية.
6. كانت سالونيك البلد التي ولد فيها **مصطفى كمال** وفيها كان الجيش الثالث العثماني وهو من أقوى الفرق العسكرية في الجيش العثماني آنذاك.

**أسباب ثورة تركيا الفتاة**

1. إن سياسة الاستبداد الحميدي التي فرضت على سكان الإمبراطورية منها فرض الضرائب والنظام الجاسوسي والقضاء على الحريات ومراقبة الصحف وإلغاء الدستور واعتقال المصلحين وملاحقتهم, هذا أدى إلى نشوء منظمات سرية وأخرى علنية لمقاومة الاستبداد الحميدي.
2. طالبت جمعية تركيا الفتاة بإدخال إصلاحات على النمط الأوروبي واستعملت المنشورات التي طبعت خارج حدود الدولة.
3. طالبت هذه الجمعية بإعادة الدستور الذي عطل بعد الحرب الروسية التركية.
4. شعور الضباط بسوء الوضع والحالة العامة والتجسس على الأصدقاء وأسلوب الترقية الذي كان مشروطا بذلك, وتأثر الضباط العثمانيين بزملائهم الأوروبيين الذين تمتعوا بالحريات.
5. إن المستوى التعليمي والثقافي الذي وصل إليه القادة \_ ضباطا ووطنيين وعلمانيين ساعدهم في بث روح الثورة ضد الاستبداد والظلم الحميدي.

**عزل السلطان عبد الحميد**

بدأ التمرد ضد السلطان عبد الحميد في تموز 1908 في مقدونيا من قبل الضباط **نيازي باشا, أنور باشا ومصطفى كمال وجمال باشا** وآخرون. فانضمت إليهم فرق الجيش التي أرسلها السلطان لإخضاعهم, مما اضطر السلطان في 24 تموز 1908 بالرضوخ إلى مطالب الثوار فأعاد العمل بالدستور وألغى الرقابة وأطلق سراح جميع المسجونين السياسيين, الأمر الذي يعتبر نصرا لثورة تركيا الفتاة.

حاول السلطان الإطاحة بقيادي جمعية الاتحاد والترقي غير انه لم ينجح في ذلك, فتم خلعه نهائيا عن السلطة في 27 نيسان 1909, وعين محله **الأمير محمد رشاد** وبقي السلطان مسجونا في قصر معزول حتى توفي عام 1918.

**نتائج الأحداث التي مرت بها الدولة**

1. إعادة العمل بدستور مدحت باشا بعد تعطيله مدة 30 عاما وتم خلع السلطان عبد الحميد.
2. إن انشغال الدولة بثورة تركيا الفتاة أعطى الفرصة لبلغاريا للإعلان عن استقلالها وبذلك خسرت الدولة العثمانية حكمها هناك.
3. قامت النمسا بضم البوسنة والهرسك لها.
4. قامت اليونان بضم جزيرة كريت رسميا.
5. في عام 1911 احتلت ايطاليا ليبيا.
6. وقوع ثورة الألبان عام 1912 فاستقلوا عن الدولة العثمانية.
7. وقوع حرب البلقان الأولى عام 1912, وحرب البلقان الثانية عام 1913 التي انتهت بخسارة العثمانيين أجزاء كثيرة من البلقان.

**تركيا الفتاة في الحكم**

بعد أن أقيل عبد الحميد الثاني وانتقل الحكم إلى "تركيا الفتاة" برزت خلافات رئيسية بين الحزبين الرئيسين داخل البرلمان :

* **حزب الحرية والائتلاف** (الذي تولى الحكم مدة قصيرة سنة 1912)
* **حزب الاتحاد والترقي.**

**حزب الحرية والائتلاف** نادى بتطبيق **الحكم اللامركزي**, أي منح غير الأتراك في الإمبراطورية نوعا من الحكم الذاتي. وقد لاقوا تأييدا ومناصرة من سكان الولايات العربية والولايات الأوروبية التابعة للإمبراطورية والأرمن. وكان الهدف من هذا التوجه هو توحيد جميع القوميات المختلفة في الدولة في أمة عثمانية واحدة, أساسها المساواة بين جميع شعوبها.

أما **حزب الاتحاد والترقي** فأيد **فكرة المركزية** الشديدة في حكم الإمبراطورية, فرأت أن الحل الوحيد لمشكلة القوميات في الدولة هو "**بتتريكها"** أي بفرض اللغة التركية عليها ليس فقط في الدوائر الرسمية بل وفي المدارس أيضا.

في البداية ولفترة قصيرة, كان الحكم بيد حزب الحرية والائتلاف الذي بادر بوضع الخطط للحكم اللامركزي, لكن في عام 1912 أطاحت جمعية الاتحاد والترقي بحكومة حزب "الحرية والائتلاف", وحل الاتحاديون في السلطة يقودهم الثلاثي المشهور: **أنور باشا** (وزير الحربية) **وطلعت باشا** (وزير الداخلية) **وجمال باشا** (وزير البحرية), وهؤلاء هم الذين قادوا تركيا في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المركز.

**موقف الاتحاديون من العرب** \_ بعد تسلم جمعية الاتحاد والترقي الحكم بدأت تنفذ سياستها المركزية, فاستغنوا عن آلاف الموظفين الذين كان معظمهم من العرب ومن العناصر الغير تركية. واعتمدوا على العنصر التركي وحده لذلك حظي الأتراك بالمناصب العليا والمهمة في الدولة.

وبناءا على هذه السياسة فقد تم طرد العرب عن المراكز الحساسة واستبدلوا الولاة والمتصرفين والقضاة العرب بغيرهم من الترك وكذلك تم إبعاد الضباط العرب عن مراكز القوة في الجيش ونقلهم إلى المناطق النائية.

كان رد فعل العرب على هذه السياسة هو تكوين عدة جمعيات في الفترة ما بين 1908-1912, منها الجمعيات العلنية والسرية في الآستانة والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد, التي كان هدفها تعزيز شأن العرب والمطالبة بحقوقهم ومساواتهم بالأتراك.

**تعريفات هامة**

**"سكة حديد برلين – بغداد"**

نتيجة للتقارب العثماني الألماني بدأت الشركات الألمانية تعمل في مد الخطوط الحديدية في البلقان والأناضول. وقد نال الألمان امتياز مد خط حديدي عبر البلقان إلى استانبول انتهى عام 1887. ولما كان السلطان عبد الحميد يفكر بتوطيد نفوذه في ولاياته الآسيوية ويعمل على تطويرها الاقتصادي قرر إكمال المشروع فوصل أنقرة عام 1892, ثم عرض الألمان على السلطان تمديد الخط عبر الأناضول إلى بغداد والبصرة والكويت مع فرع يمتد من حلب إلى ميناء الاسكندرونة.

وافق السلطان عبد الحميد على منح الألمان الامتياز المطلوب بمد سكة الحديد, وعرف هذا المشروع ب **"سكة حديد برلين – بغداد"**.

وقد قاومت بريطانيا هذا المشروع بشدة لخوفها من وصول النفوذ الألماني إلى الخليج الفارسي مما يهدد مصالحها في الهند, وآبار النفط الإيرانية في منطقة جنوب إيران القريبة من الخليج والحدود العراقية. وعلى الرغم من قبول ألمانيا بعد تحفظات بريطانيا على المشروع, إلا إن اندلاع الحرب العالمية الأولى قد حال دون إتمام هذه السكة, ولم يتم إلا بعض أجزائها.

**سكة حديد الحجاز**

جاء إنشاء السلطان عبد الحميد لسكة حديد الحجاز 1900-1908 بتبرعات إسلامية وسيلة يثبت بها للعالم الإسلامي مدى اهتمامه بالأمور الدينية, لاستمالة المسلمين وكسب ولائهم. فقام هذا المشروع بفضل التبرعات التي جمعها من المسلمين في الداخل والخارج, حتى فرضت على السكان المسلمين بشكل طابع بريدي. وتم إنشاؤها بخبرة فنية ألمانية, فوصلت دمشق بالمدينة المنورة وكان طول هذه السكة 900 ميل, وبذلك تم تسهيل وصول الحجاج إلى الديار المقدسة في الحجاز من جهة وتامين المواصلات العسكرية, وبالتالي تثبيت دعائم السلطة العثمانية في الديار المقدسة من الناحية الأخرى.

**أسباب إنشاء السكك الحديدية**

لقد أهتم السلطان عبد الحميد اهتماما كبيرا في مد السكك الحديدية في جميع أنحاء الإمبراطورية. وكان هدفه من وراء ذلك تحقيق الأهداف التالية:

1. تسهيل عملية الدفاع عن الإمبراطورية في حالة وقوع أي حرب ضدها في أي جبهة من الجبهات, لان السكك الحديدية تسهل نقل الجيش بسرعة بين الجبهات المختلفة. ( تسهيل عملية نقل الجيش العثماني بين أطراف الإمبراطورية في حالة تعرضها للحرب أو العدوان).
2. ربط ولايات الدولة المختلفة, مما يساعد نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التي بدا يدب فيها الوعي القومي.
3. إحكام السيطرة على الولايات والرضوخ للقوانين العسكرية التي تنص على وجوب الاشتراك في الدفاع عن الإمبراطورية بتقديم المال والرجال.

**التقارب العثماني – الألماني**

توحدت ألمانيا عام 1870 على يد بسمارك. وفي عام 1881 قامت فرنسا باحتلال تونس وكانت قد احتلت الجزائر عام 1830, وفي عام 1882 وقعت مصر تحت الاحتلال البريطاني من جهة أخرى.

وبدأ التقارب في عهد عبد الحميد واستمر في عهد جمعية تركيا الفتاة التي انقلبت على عبد الحميد الثاني في عام 1909 وكانت أبعاد هذا التقارب انضمام الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا وكانت النتيجة هزيمة كل من ألمانيا والدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى.

**أسباب التقارب العثماني – الألماني**

1. **لم تكن ألمانيا ذات أطماع استعمارية سابقة في الدولة العثمانية.** بعكس فرنسا التي احتلت الجزائر عام 1830, تونس 1881 وبريطانيا التي احتلت مصر عام 1882. فكانت هذه الأقاليم تابعة للدولة العثمانية فكان ذلك سبب للتباعد العثماني من جهة والبريطاني والفرنسي من جهة أخرى, وفي نفس الوقت سبب للتقارب العثماني الألماني, وقد وصف عبد الحميد بريطانيا "بريطانيا الجرباء".
2. **العداء التقليدي بين روسيا والدولة العثمانية.** علما إن روسيا كانت تطمع بأملاك الدولة العثمانية ومنطقة البلقان وقامت حروبات عديدة بين الدولتين خلال القرن التاسع عشر مثل : حرب القرم 1853-1856 ثم الحرب العثمانية - الروسية في بداية عهد عبد الحميد سنة 1877.
3. **العداء بين روسيا القيصرية وبين وليام الثاني قيصر ألمانيا** الذي قال يجب أن يكون لنا ملكا تحت الشمس, بمعنى انه كان يطمع في البلقان كما إن روسيا القيصرية كانت تطمع في التوسع في البلقان. لا ننسى إن هناك عداء بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية فمن الطبيعي أن يكون التقارب بين ألمانيا في عهد وليام الثاني والسلطان عبد الحميد, فالمعادلة المنطقية هي في هذه الظروف ( عدو عدوي صديقي ).
4. **إن توحيد ألمانيا جعلها قوية من جميع النواحي ويمكن الاستعانة بها**. أرادت ألمانيا الحصول على امتيازات في منطقة الشرق الأوسط علما إن هذه المنطقة هي منطقة إستراتيجية واقتصادية وأراد السلطان عبد الحميد الثاني في نفس التقرب من ألمانيا لإعادة مجد الإمبراطورية آملا في وقوف ألمانيا إلى جانبه لاستعادة الأراضي التي خسرتها الدولة العثمانية في البلقان وفي شمال أفريقيا.

من الجدير بالذكر إن السلطان عبد الحميد كان قد عزل في عام 1909 وأصبح أعضاء جمعية تركيا الفتاة أمثال : طلعت باشا, أنور باشا, جمال باشا الحكام الفعليين واستمر هؤلاء في التقارب مع ألمانيا.

**مظاهر التقارب العثماني – الألماني**

يمكن تقسيم مجالات التقارب العثماني – الألماني إلى ثلاث مجالات :

1. **المجال العسكري**:

1. إرسال أسلحة ألمانية متطورة ومدربين ألمان للجيش العثماني.
2. استقبال شباب أتراك في سن الجندية للدراسة في الكليات العسكرية في برلين.
3. فتح موانئ ومضائق الدولة العثمانية أمام السفن الحربية الألمانية في حالة خطر الحرب أو نشوب حرب.

2. **المجال الاقتصادي** :

1. بناء سكة حديد طويلة من برلين إلى بغداد في العراق, هذه السكة تمر في البلقان وفي اسطنبول وفي شبه جزيرة الأناضول ووصلت هذه السكة إلى شمال العراق.
2. فتح موانئ الدولة العثمانية أمام السفن التجارية الألمانية, التبادل التجاري بين الدول.
3. إقامة مصانع ومنشئات اقتصادية – ألمانية بالقرب من الموانئ لتسهيل نقل البضائع العثمانية إلى ألمانيا والاستفادة من ثروات الدولة العثمانية الطبيعية.

3. **المجال السياسي**:

1. الزيارات المتبادلة بين الزعماء وأهمها زيارة القيصر الألماني **وليام الثاني** إلى اسطنبول. وفي هذه الزيارة التاريخية يعبر **عبد الحميد** عن سروره لهذا اللقاء ويتجول الاثنان معا في أنحاء الإمبراطورية العثمانية وخاصة فلسطين, ويقوم وليام الثاني بزيارة كنيسة القيامة وكنيسة المهد وفي عودتهما إلى اسطنبول يمر عبد الحميد على قبر صلاح الدين في دمشق فيتقدم وليام الثاني ويضع إكليلا من الزهور على قبر **صلاح الدين** ويخطب قائلا : " ليطمئن صاحب جلالة السلطان خليفة المسلمين قاطبة بأنه سيجد في قيصر ألمانيا الصديق الدائم لهم"؟
2. وقوف ألمانيا مع الدولة العثمانية في المؤتمرات الدولية وقد ظهر ذلك بوضوح في **مؤتمر برلين** بعد الحرب الروسية - العثمانية وهزيمة الدولة العثمانية أمام روسيا وقد دعا **بسمارك** لعقد هذا المؤتمر في برلين وعدل اتفاقية سان استافينو التي كانت لصالح الدولة العثمانية.

**نتائج التقارب العثماني – الألماني**

1. ازدياد مطامع الدول الأوروبية الاستعمارية في الدولة العثمانية ومحاولة تقسيمها.
2. التحالف الفرنسي – الروسي الذي انضمت إليه بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.
3. تغيير بريطانيا لموقفها السابق والذي كان يعارض تقسيم أراضي الدولة العثمانية.
4. انضمام الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى.
5. خسارة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وانهيارها.

**السلطان عبد الحميد وثورة تركيا الفتاة**

**السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وجمعية الاتحاد والترقي** (شتاء 2007/06)

1. من هو السلطان عبد الحميد الثاني؟ وكيف تسلم السلطة؟ وضح. (8 درجات)
2. ما هي جمعية الاتحاد والترقي ؟ وضح ثم اذكر ثلاثة أسباب جعلتها تختار سالونيك مقرا لها. (15 درجة)
3. اشرح ثلاثة عوامل دفعت الجيش العثماني إلى القيام بثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني. (12 درجة)

**انقلاب تركيا الفتاة سنة 1908** (صيف 2009)

1. ما هي جمعية "تركيا الفتاة" ؟ وضح ثم بين الهدف من إقامتها. (8 درجات)
2. بين ثلاثة أسباب لانقلاب "تركيا الفتاة". (15 درجة)
3. بين نتيجتين لانقلاب تركيا الفتاة. (12 درجة)

**السلطان عبد الحميد الثاني** (صيف 2016 – نموذج 23281)

".... وقد ظفر تدريجيا بمسخ وزرائه إلى كتاب مساعدين، وبتركيز إدارة البلاد في قبضة يديه. فوضع الصحافة تحت رقابة شديدة، وألغى جميع التدابير التي تؤمن حرية الفكر مهما كان نوعها، ونشر شبكة محكمة من الدس والتجسس في جميع أنحاء البلاد. ولما كان شديد الخوف على عرشه وحياته، عمد إلى الاعتصام بالمزيد من العزلة وراء أسوار قصر يلدز. ثم أنه أجرى الاعتقالات بالجملة ونفذ أحكام الإعدام على نحو جماعي."

{المصدر: د. فيليب حتي، "تاريخ سورية ولبنان وفلسطين"، دار الثقافة – بيروت 1959، الجزء الثاني، ص 349}

1. يعكس النص أعلاه الحكم المطلق الاستبدادي للسلطان عبد الحميد الثاني، اشرح ذلك. (18 درجة)
2. بين اثنين من الظروف التي مهدت وصول السلطان عبد الحميد الثاني إلى الحكم. (12 درجة)

**التقارب العثماني – الألماني** (صيف 2016، الموعد "ب" – نموذج 23281)

"..... وقد آنس السلطان من القيصر صديقا جديدا يستحق الترحيب، فقام الإمبراطور وزوجته عام 1988 بزيارة إلى القسطنطينية، واستأنفا السير منها إلى القدس فدمشق، حيث وضعا إكليلا من الزهر على قبر صلاح الدين، وفي خطبة مثيرة أكد الإمبراطور للسلطان، ومعه ثلاث مائة مليون مسلم يجلونه بوصفه خليفة عليهم، أن إمبراطور المانيا كان وسيظل أبدا صديقهم الحميم، وعلى الأثر منحت شركة المانية امتياز خط بغداد الحديدي عبر شمال سوريا، وكان هذا الخط الحديدي أحد الأسباب التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الأولى، وقد أخذ في الوقت نفسه ضباط المانيون يفدون إلى تركيا ليعيدوا تنظيم الجيش التركي."

{المصدر: د. فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، 22، ترجمة: د. كمال اليازجي (دار الثقافة – بيروت) ص 348-349}

1. يعكس النص أعلاه بداية التقارب العثماني – الألماني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وضح ذلك متطرقا إلى اثنين من مظاهر هذا التقارب. (15 درجة)
2. بين اثنتين من نتائج التقارب العثماني – الألماني. (15 درجة)